الثلاثاء 7/8/2012 20/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

إن الله كتب الإحسان على كل شيء

عن أبي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**))، [رواه مسلِمٌ].

العالم اليوم ومع تقدمه في الصناعة والتجارة والأمور الدنيوية حمل ملفاً اسمه ملف الجودة.

فإذا أردت أن تصنع شيئاً فراع فيه الجودة.

إذا أردت أن تُسلِّم بضاعة أو أن تنتج بضاعة فراع فيها الجودة.

إذا أردت أن تستورد مادةً أو تصدر مادةً فراع فيها الجودة.

هذه الجودة التي تقدم بها العالم المتقدم اليوم هي شيء من معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**)).

الإحسان في كل شيء في حياتك سواء في عبادة، أو معاملة... والمطلوب منك إذا كنت فيهما أن تحسن.

❖ هل تعلمون كم تعليماً وجدت في دخول أحدنا لبيت الخلاء؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلَاءَ، فَلَا تَسْتَقْبِلُوهَا وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ**»، **وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ** [الإمام أحمد].

هل ترضون أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والداً لكم؟ إن لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عشرة تعاليم إذا كان المرء في بيت الخلاء:

أحد الأساتذة يحمل دكتوراه في هندسة المياه، قلت له مرة: إن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علمنا عشرة تعليمات نقوم بها في بيت الخلاء، فصرخ وقال لي: هذا هو نظام الجودة، نظام الجودة أن تضبط كل حركة من حركاتك أثناء تطبيق العمل.

1- دخول بيت الخلاء بالرجل اليسرى.

2- دعاء الدخول.

3- متى يرفع أحدنا ثوبه.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الْأَرْضِ**» [الترمذي].

4- كيف يستخدم الماء؟ وإذا كان يريد أن يستخدم منديلاً كيف يستخدم المنديل؟

5- ما يدعو إذا خرج؟

6- بأي رجلٍ يخرج.

7- كيف يتطهر.

هل يعقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء بدين لإحياء الدنيا وسعادتك بالدنيا والآخرة يتحدث في عشر تعليمات بأبسط قضية.

عَنْ سَلْمَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ «لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**» [مسلم].

بالله عليكم من منكم جلس مع ابنه وعلمه عشرة تعاليم يفعلها في بيت الخلاء؟

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يحمل هم الدولة الإسلامية، ويحمل هموم الدعوة إلى الله، ويحمل هم جذب قلوب العباد إلى الله كان عنده وقت ليعلم أصحابه هذه الأشياء.

❖ **إذا ذهبنا إلى الوضوء** وعددنا كم من وضوءٍ منسونٍ ومفروضٍ على المسلم، وكم غُسلاً مفروضاً ومسنوناً على المسلم، لكانوا **خمسين**.

عندما نقول عليك أن تغتسل بين فرض وسنة خمسين مرة في وقتنا والماء متوفر في الصنابير والبيوت مغلقة والنوافذ مغلقة لكان أمراً عادياً، لكن أن تقول هذه التعاليم في مكة قبل 1400 سنة

حيث لا ماء متوفر بشكل جيد، والبيوت مكشوفة وسهلة الدخول والخروج، وأبوابها لا توصد بشكل جيد لكان أمراً شاقاً جداً.

كان من بقي من النصارى على دين سيدنا عيسى عليه السلام قد شوَّهوا الدين وغيروه، فكان الرهبان يتأثمون من النظافة، ويعتقدون أن طهارة الجسد تنافي طهارة الروح، فمن أراد أن يرقى بروحه فلابد أن يعذب جسده.

فجاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس النظافة، والطهارة، وتنظيف الأسنان...

❖ **نأتي إلى الصلاة**، عندما جاء العلماء لسرد تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة قسموها أقساماً، فقالوا: هناك:

أ. **أركان**.

ب. **وسنن**: وهي قسمان:

1- سنن أبعاض.

2- وسنن هيئات.

ت. **ولها مكروهات**.

ث. **ولها مبطلات**.

ج. **ولها شروط**.

وتحت كل عنوان من هذه العناوين، هناك عناوين، فعندما يذكرون الأركان يذكرون ثلاثة عشر ركن، وعندما يذكرون السنن يذكرون رقماً معيناً أكثر من رقم الأركان...

هذه هي جودة العمل، سواء في الصيام أو الزكاة...

❖ عندما عرفوا الزكاة قالوا: **الزكاة مالٌ مخصوص يؤخذ من مال مخصوص يدفع لجهات مخصوصة في زمنٍ مخصوص**.

وقد كتب أحد الأساتذة كتاباً مؤلفاً من مجلدين في الزكاة فقط من أجل الزكاة التي سوف تدفعها أنت2.5%؛ من أجل أن تعلم أن الأمر مضبوط ضبطاً شديداً وهذه هي الجودة.

❖ الطالب الأول والأخير كلاهما يدرس، وكلاهما يحضر خلال العام، وكلاهما نجح لكن لماذا هذا كان الأول وهذا كان الأخير؟! فقط لأن الأول درس دراسة متقنة، والآخر درس دراسة مخلوطة بأشياء أخرى فضيع هذه الجودة.

❖ **في المعاملات:**

أ. عَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: **جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَفَةُ الْعَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بِالْأَجْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْوَزَّانِ:** ((زِنْ وَأَرْجِحْ))، [الترمذي].

فهذا إحسان بأن أعطيه وزنه مع شيء قليل إضافي؛ لذلك الباعة القدماء لم يكن عندهم أحد يزين إلا ويُرجِّح إلا ما ندر منهم.

أخبرت عن رجل حيث لم يكن هناك أوعية يوضع فيها الطعام والأشياء التي يبتاعها المشتري إلا في أوراق تلف بطريقة معينة وتوضع فيها الكمية المطلوبة أخبرت أنه كان يزن المادة على الميزان فعندما يصل الوزن للمراد يضع زيادة في الوزن قليلاً فسأله ابنه لماذا تزيد الوزن؟! قال: يا ابني هذا وزن الورق فلا أستطيع أن آكل مالاً حراماً.

هذا الإحسان فإذا بعت فأحسن وإذا اشتريت فأحسن.

ب. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا، إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى))، [البخاري].

ت. قال لي رجل: استأجر شابٌ منزلاً وبعد فترة أراد أن ينتقل إلى بيتٍ آخر؛ لأن هذا البيت ضاق عليه، فجاءه المؤجر يقول له: أرجوك ابق عندي، أرجوك ابق في البيت، فسأله صاحب المكتب العقاري عن سبب تعلقه الشديد به؟! فقال: أنا أأجر هذا البيت من عشرة سنوات فمنهم من يتلفون أو يكسرون، أويسيئون إلى البيت أما هذا المستأجر فقد استأجر البيت وأصلح الأشياء التالفة فيه وحافظ على البيت.

إذا كنت مستأجراً فأحسن ومن العجب أن تسمع عن أجير يستأجر داراً أو عقاراً فيخلع البلاط من الأرض، والصنبور من الجدار، يقول: هذا البيت ليس ببيتي، هو ليس لك صحيح، لكن ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ))، في الإجارة والوكالة والكفالة.

ث. أحياناً رجل يوكل محامياً في مسألة فتتعجب أن المحامي قد خسر القضية، وعندما تراجع الأمر تجد المحامي غائباً عن جلسات الحضور الخاصة بالمرافعات، أو أرسل مرافعات ضعيفة وهزيلة جداً، فهذا الإنسان ما عنده إحسان بموضوع الوكالة، ولا الكفالة، ولا الصرف، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)).

نظام الجودة قائم على ثلاثة أمور: والعجيب أن هذه الأمور الثلاثة هي نتيجة حراك اقتصادي وعلمي وإداري بقي عشرات السنوات حتى اكتشف العالم أنك إذا أردت أن تفعل شيئاً جيداً فيجب عليك أن أن تراعي هذه الأمور الثلاثة، **وهذه الثلاثة هي**:

1- الصناعة الجيدة.

2- التسليم في الموعد المحدد.

3- الكلفة المناسبة.

والجدير بالذكر أن الإسلام دعانا لهذه الثلاثة.

يا أيها الإخوة نحن بحاجة أن نتدرب على هذه الثلاثة في كل شيء نؤديه.

ج. مهندس تسلمه منزل من أجل إعادة إكسائه فيقول لك: يحتاج إلى ثمانية أشهر، ويذهب معه الأمر سنة ونصف، ثم يقول لك: صحيح أنني تأخرت، لكن هذا التأخير كان لأجل إعطائك شيئاً جيداً ومميزاً ومرتباً.

هذا الكلام صحيح إلا أنه آلمك وأزعجك بتأخيره.

ربما يعطيك شيئاً جيداً والتسليم بوقت صحيح لكن الأسعار تشعر بأنه قد غشك.

((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)).

❖ **في علاقة الزوج مع زوجته**: لا ريب بأن كل اثنين يجتمعان ويعيشان مع بعضهما البعض فلا بد لأحدهما أن يقصر في حق الآخر، وأن الآخر يحسن إليه، أو مرة هذا ومرة هذا، وخيرهما الذي يحسن لصاحبه أكثر.

الزوج الذي يحسن إلى زوجته أكثر هو عند الله عز وجل محمود مشكور مبرور، أقرب إلى الله من زوجته وبالعكس فإن الزوجة التي تحسن إلى زوجها أكثر فهي عند الله محمودة ومبرورة ومقبولة وهي إلى الله أقرب.

قال لي رجل اتصل بي إلى الإذاعة أمام الناس وعلى الهواء مباشرةً: يا أستاذ أنا رجل سيء لكن زوجتي جيدة جداً صبرت علي وأحسنت إليه عشرين سنة فحولتني من إنسان سيء إلى إنسان جيد، وأنا الآن رجل جيد والفضل بذلك بعد الله لزوجتي ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)).

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم إذا أحسنت إلى شخص أو أخ أو زوج أو قريب فلابد هذا الإحسان أن يؤثر في قلبه ولابد لهذا الإحسان أن ينقله من حال إلى حال.

أبو سفيان عادى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة بمكة وثمان سنوات في المدينة وعند فتح مكة –ولم يكن أبو سفيان قد أسلم بعد– قال العباس: **يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ:** ((**نَعَمْ.. مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**))، **قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ** [أبو داود]، ففرح أبو سفيان بهذا القول الذي يشير إلى أن بيته وكأنه صار كعبة.

فأعطاه شيئاً من الوجاهة المعنوية ليُحسن إليه فيستميل قلبه إلى الإسلام، ثم جلس معه النبي صلى الله عليه وسلم من بعد صلاة العشاء إلى الفجر يحدثه عن الدين –وهو قادر على أن يقتله وينتهي منه؛ لأن صلى الله عليه وسلم فاتح مكة– لكنه أراد أن ينير قلبه، فأسلم أبو سفيان.

ولما كان أبو سفيان رجلاً يحب المال جاء عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَأَعْطَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ** [مسلم].

فلما كانت معاملته حسنة أصبح أبو سفيان رضي الله عنه صحابياً حسن إسلامه حتى أنه روي عن سعيد بن عبيد الثّقفيّ أنه قال: (**رميت أبا سفيان يوم الطّائف فأصبت عينه، فأتى النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم، فقال: هذه عيني أصيبت في سبيل اللّه. قال:** «**إن شئت دعوت فردّت عليك، وإن شئت فالجنّة**» **قال: الجنّة**) [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني].

وعن سعيد بن المسيّب، عن أبيه قال: (**فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر اللَّه اقترب. قال: فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد. ويقال: فقئت عينه يومئذ**) [الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني].

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، [فصلت: 34-35].

يا أيها الإخوة في هذه الأزمة هناك أناس يتفننون في الإجرام، لكن الحقيقة أن هناك أناس يتفننون في الإحسان.

تصلني أسئلة عجيبة تتكرر كثيراً فيقول السائل: هل يجوز لأحدنا أن يغلق على النمل بيته؟ فأقول له: نعم إذا كان مُضِرَّاً، فيعيدون السؤال ويقولون: لكن الإمام البخاري روى في صحيحه حديثاً عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ**))، قلت له: صحيح هذا الكلام، لكنك أولاً: لن تحرق لهم بيتهم، بل ستغلق الباب، وهم سيخرجون من مكانٍ آخر، وثانياً: هم الذين اعتدوا عليك ودخلوا غرفتك فلا بأس أن تغلق لهم باب بيتهم.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه جبار الجاهلية قلبه الإسلام حتى تراه يقول: (والله إني لأخشى أن يسألني الله تعالى عن شاةٍ عن شاطئ دجلة زلت قدمها لِمَ لَمْ تعبد لها الطريق يا عمر).

هذه الأحداث وهذه الأفعال وهؤلاء الذين يعملون هذه الأعمال أين تعلموا هذا الشيء؟!

قال في القرآن الكريم: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، [الإسراء: 84].

قال المفسرون: **على أخلاقه وتربيته التي نشأ عليها**.

فالواحد لا يصبح محسناً بين يوم وليلة، بل هناك أخلاق وتنشئة جعلته محسناً.

أعرف شباباً لم يفطر في بيته ولا يوم من أيام رمضان لأنه في كل يوم يذهب إلى هذه الحدائق والمدارس ليقدم إفطاراً لهذه الأسر التي تجلس في الحدائق والمدارس.

هذا الإنسان لم ينم ويستيقظ فأصبح هكذا، بل تربى من عشرين سنة، فكان يزرع في نفسه الإحسان للناس، والبر للخلق، ومساعدة الناس، وما شابه... من عشرين سنة، له أب وأم يدعوانه

بطريقة مباشرة أو غير مباشر للإحسان إلى الناس، من عشرين سنة يجلس مع أناس يزرعون في داخله شيئاً من الخير.

بالمقابل تجد أناساً عند أذان المغرب والناس مجتمعون على المائدة يدخلون ليقتلوا إنساناً منهم ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، [الإسراء: 84].

الشمس يا أيها الإخوة تَسْطُع على الدنيا فتعقِّد الملح، وتُلين الدهن، وهي نفسها التي جاءت فأصبح الملح جامداً، وأصبح الدهن سائحاً.

البلاء ينزل والشدة تأتي على العباد، فأناس يرتفعون درجات عالية عند الله بالإحسان، وأناس يهبطون درجات دنية بالفجور والإجرام.

شأنك أيها المسلم أن تكون محسناً ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)).

ذُكِرَ لنا عن زوجة أحد الشيوخ أنها مرضت مرضاً أقعدها في الفراش واحتاجت إلى خدمةٍ خاصة، فقرر زوجها الشيخ أن يخدمها بنفسه، هذا الشيخ كان له تلامذة، وعنده دروس في كل نهار في الصباح والظهير والمغرب والعشاء، فلما مرضت زوجته واحتاجت إلى خدمةٍ خاصة، قال لتلامذته: أنا بعد اليوم لن أستطيع أن أدرسكم فمن أرادني، أو أراد أن يَحْضُر أي درس أو يسألني أية أسئلة، فأنا مُفَرِّغٌ نفسي بين المغرب والعشاء أن أكون في المسجد فقط، والدروس ستكون بين المغرب والعشاء، أما بقية النهار فأنا عاكفٌ على خدمة زوجتي.

مضت عليه سنوات وهو يخدم زوجته المقعدة ثم ماتت زوجته وفي مجلس العزاء أحد التلامذة قام فتكلم بكلمة أشار إشارة أنه يحمد الله أن خفف عن الشيخ في خدمة زوجته، فلما خرج هذا التلميذ وسلم على شيخه رأى الشيخ يبكي، وقال له: والله يا ولدي كنت أتمنى لو أن الله عز وجل أبقاها حيةً لأخدمها عشرين سنة ولأموت قبلها إكراماً لها ولصحبتها لي في حياتي.

هذا إحسان مع محبة لهذا الإحسان، بِرٌّ مع محبة لهذا البِر.

هؤلاء الذين يساعدون الناس المتضررين يفعلون ذلك وهم يحبون أن يفعلوا هذا الشيء، وقد حققوا قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، [الإنسان: 8].

قالوا: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ هذه الهاء عائدة على حب الطعام، فهم يحبون الطعام لكن يطعمونه للآخرين،

وقالوا: يطعمونه على حب الله، فهم يطعمون الناس إكراماً لحضرة الله.

وقالوا: يطعمونه وهم يحبون أن يطعموا الناس ويساعدونهم وهم يحبون أن يساعدوهم.

يا أيها الإخوة تعالوا كلنا لندرب أنفسنا لنكون محسنين مع أزواجنا ومع أولادنا ومع جيراننا ومع صلاتنا ومع صومنا ومع زكاتنا ومع بيعنا ومع شرائنا.

ومن أكثر من شيءٍ عرف به، والعكس بالعكس.

((فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)).

الآن النبي صلى الله عليه وسلم يضرب مثالاً لا يُتصور فيه الإحسان فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا قمت بالقتل فأحسن به.

في العادة لا يتصور في القتل إحسانٌ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول هذا الشيء الذي لا يمكن أن يتخيل الإحسان به فيجب أن يكون إحسانك فيه.

قالوا: **هذا القتل الذي أباحه الشارع قتل بحق.**

((وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)).

من قتل عصفوراً، أو عقرباً أو حيةً قصاصاً فهو قتْلٌ بحق ولكن هذا القتل كن فيه محسناً.

لا تعذب هذا العقرب بل اقتله مباشرةً حتى لا يتعذب.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **أَنَّ رَجُلاً أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحُهَا وَهُوَ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:** ((أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ ، هَلا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا))، [هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ].

فحُدَّ الشفرة حتى تمشي الشفرة سريعاً في رقبة هذه الشاة أو الدجاجة التي تُذْبح حتى لا تتعذب أكثر.

((وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)).

بعد أن تقطع الأوداج منها اتركها حتى ترتاح فتنفض ثم ترتاح ثم بعد هذا اسلخها من جلدها.

فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول في الأشياء التي لا يتصور فيها الإحسان أن أحسن، فما بالك في باقي الأمور؟ ما بالك في علاقتك مع أمك؟

كان زين العابدين كثير البر بأمه، حتى قيل له: إنك من أبرّ الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة؟! فرد عليهم: **(أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها؛ فأكون قد عققتها)**.

شاب عنده بِرٌّ عجيب وكان له تعلق كبير بأمه وقد ماتت أمه من سنوات، قال لي: أنا في كل يوم أمضي إلى قبرها وأقرأ شيئاً من القرآن وأدعو لها، قلت له: كل يوم؟! قال: كل يوم، فمن أسابيع أمام بيته كان هناك إطلاق نار واشتباكات وأراد أن يخرج ليزور قبر أمه، فقالت له زوجته: أرجوك ابق في البيت خوفاً من أن يصيبك شيء، قال لها: أنا معتاد، ومضى.

من أيام اتصلت به أريد أن أكلمه فلم يَجِبْ وقد كنت محتاجاً إليه في أمر ضروري، فعاودت الاتصال ففتح الجهاز ولم يكلمني، ولكني كنت أسمعه يقرأ القرآن الكريم، ثم ختم في الدعاء فعلمت أنه أمام قبر أمه فَصِرْتُ أؤمن على دعائه وعندما انتهى، قال لي: لا تؤاخذني، لكنني أحببت أن تشركني في الدعاء لأمي.

هناك أناس عندهم أمر عجيب في الإحسان والبر إلى أمهاتهم وآبائهم.

يا أيها الإخوة مهما استطاع أحدنا أن يكون محسناً فليفعل.

ما الذي يُعينك على الإحسان؟ سواء في إحسان العبادات، أو في إحسان المعاملات، أو إحسان العلاقات الزوجية، أو في سائر أعمالك... **أمران اثنان:**

1- العلم.

فهو كاشف يكشف لك عن الحُسْنِ وعن السوء؛ لأنه ربما تختلط بعض الأمور.

2- الإكثار من ذكر الله.

فهو يعينك على أن تعمل بما كشف لك به العلم.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.